الفائدة الثانية والثلاثون:

قَالَ تَعَالَى: {مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا}

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، **أَمَّا بَعْدُ**:

يقول الله عَزَّوَجَلَّ في وصف الجنة: {مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا} [الإنسان:١٣-٢٢].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: {إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ} [طه:١١٨-١١٩].

فانظروا يا عباد الله إلى ما يعانيه الناس من حر شمسٍ بعيدة، مع وجود وسائل تلطيف الجو؛ فكيف بك أيها المسلم حين تزهد في نعيم الجنة، أو تعرض نفسك لعذاب النار، فالله عَزَّوَجَلَّ جعل ما في الأرض أمثلة لما في ذلك اليوم.

قَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} [الفرقان:٦٢].

وفي الحديث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ**»، متفق عليه(١).

فالحياة السعيدة حقًا في الجنة، لا يرون فيها شمسًا تؤذيهم بحرها، ولا يُلَقُونَ فيها زمهريرًا يؤذيهم بردها؛ بل هي بين ذلك كلها نعيم، قَالَ تَعَالَى: {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ} [الواقعة:٣٠-٣٨] الآيات، يتنعمون بما أعد الله عَزَّوَجَلَّ فيها للمؤمنين.

ومعلوم عند الجميع أن الله عَزَّوَجَلَّ قد شرع شرائع تكون سببًا لدخول الجنة، وكما قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي، إِنَّمَا الْإِيمَانُ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ، وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ(٢).

فلا بد لمن أراد الجنة أن يقدم السبب الذي به يدخل إليها، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الزخرف:٧٢].

وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الواقعة:٢٤].

وَقَالَ تَعَالَى: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة:٢٤]

وَقَالَ تَعَالَى: {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)} [يس:٢٦-٢٧].

فالجنة دار النعيم تُنال برحمة الله عَزَّوَجَلَّ، والله عَزَّوَجَلَّ يرحم أصحاب

(١) البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٣٥١).

الأعمال الصالحة، فنحن نعمل ونرجو من الله القبول، والثواب.

قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} [الطور:٢٨].

وفي حديث عَائِشَةَ، وجاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ**» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**»(١).

* والشاهد: مما تقدم أن النعيم المقيم في الجنة.

انظر إلى ما يعانيه الناس إما جوع، أو عطش، أو حر، أو برد، أو هم، أو هرم، أو سقم، وكل هذا منتفٍ في الجنة.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ**»(٢)، وخبر رسوله ﷺ صدق لا خُلْفَ فيه.

وقوله: «**لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ**»: يعني: حياة كلها نعيم.

وإذا دخل صاحب الجنةَ، الجنةَ: «**يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا**»(٣).

بالإضافة الى ما وعد الله به آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: {إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ} [طه:١١٨-١١٩].

فالله، الله بالتشمير إلى الجنة بأداء العمل الصالح، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٦)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٣٧)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَيُقْتَلُونَ} [التوبة:١١١].

{بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} بشرط: {يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة:١١١-١١٢].

وبعد أن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ من أعظم أسباب دخول الجنة الجهاد في سبيله، والشهادة في سبيله، قال أيضًا: {التَّائِبُونَ} الذين يعودون إلى ربهم ويرجعون من ذنوبهم ومعاصيهم.

وقَالَ تَعَالَى: {الْعَابِدُونَ} أي: الذي يعبدون الله عَزَّوَجَلَّ، ويتقربون إليه بالطاعات، والقربات من صلاة، ودعاء، ونذر، وحج، وعمرة، إلى غير ذلك.

وَقَالَ تَعَالَى: {الْحَامِدُونَ} أي: الذين يكثرون من حمد الله عَزَّوَجَلَّ على نعمه وآلائه الكثيرة، والله عَزَّوَجَلَّ يحب الحمد، ولهذا حمد نفسه، وأمر عباده أن يحمدوه، وكان من تسبيح الملائكة أنهم يحمدون الله عَزَّوَجَلَّ صبحًا، وعشيًا، ومن أفضل ما اصطفى لهم من الكلام: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»(١).

وَقَالَ تَعَالَى: {السَّائِحُونَ}، قيل: الصائمون، وقيل: طلاب العلم.

وَقَالَ تَعَالَى: {الرَّاكِعُونَ}، أي: الذين يتقربون إلى الله بالصلوات الفرائض والنوافل.

وَقَالَ تَعَالَى: {السَّاجِدُونَ}، أيضًا يكثرون من السجود بأنواعه فهم

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣١) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

متقربون إلى الله عَزَّوَجَلَّ بما أمرهم.

وَقَالَ تَعَالَى: {الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ}، وهو كل ما وافق الكتاب والسنة من التوحيد فما دونه.

وَقَالَ تَعَالَى: {وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ}، وهو كل ما خالف الكتاب والسنه من الشر فما دونه.

وَقَالَ تَعَالَى: {وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ}، المحافظون على أنفسهم من مجاوزة الشرع وحده؛ فيأتون بالمأمور وينتهون عن المحظور.

فينبغي لنا أن نبادر في تحصيل سبل دخول الجنة، انظروا كيف يشكي الناس من الحر، كلٌ يقول: الجو حار، وأنت تحت الظل، وأنت على رأسك المروحة، فكيف بحر يوم القيامة، فكيف بحر جهنم، ونفرح إذا اشتغل المكيف، أو اشتعلت المروحة، فكيف بالفرح العظيم إذا دخل الإنسان الجنة ورأى ما فيها من النعيم المقيم، والفضل العميم الذي أعده الله عَزَّوَجَلَّ للمؤمنين.

ذلك هو الفرح الحقيقي، وذلك هو الحزن الحقيقي، فرح أهل الجنة هو الفرح الذي ليس بعده فرح، وحزن أهل النار هو الحزن الذي ليس بعده حزن، نسأل الله السلامة والعافية.

ولذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ في وصفه: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ} [فاطر: ٣٤-٣٥].

نكثر من هذا الدعاء نسأل الله الجنة، ونعوذ بالله من النار، ندعوا لأنفسنا، ولأبائنا، وأمهاتنا، ولجميع المسلمين، لا يضرك أن تشرك المسلمين في دعوتك، وانظر إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ

الْحِسَابُ} [إبراهيم:٤١].

فالمؤمن يؤجر على دعائه للمؤمنين، والمؤمنون يستفيدون من دعوة الرجل الصالح، فربما تصيبهم دعوةٌ وهم في قبورهم فتكون بها رحمتهم، وربما تصيبك دعوةُ رجل صالح وأنت حي فيكون من أسباب صلاحك، كما في حديث ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في «الصحيحين»(١)، في وصف التشهد وفيه: «**أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**».

(١) البخاري (٦٢٣٠)، ومسلم (٤٠٢).